

الإنسان وفيضانات القرن الثالث ميلادي في مقاطعة نوميديا من خلال المصادر الأثرية.

Human and the floods of the third century AD in Numidia through archaeological sources.

السعيد تريعة.

- جامعة حسيبة بن بوعلي؛ الشلف؛ (الجزائر).

- البريد الإلكتروني: s.tria@univ-chlef.dz

triaasaid@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2024/07/24؛ تاريخ القبول: 2024/12/02؛ تاريخ النشر: 2024/12/15.

الملخص:

شهدت عدة مناطق من مقاطعة نوميديا الرومانية، خلال القرن الثالث ميلادي تقلبات مناخية، كان لها بالغ الأثر على الإنسان والطبيعة، تمثلت في الفيضانات التي أشارت لها مصادر ودراسات تاريخية عديدة ووثقتها شواهد أثرية مادية، من أبرزها النقيشات اللاتينية التي عثر عليها في عدة مدن من المقاطعة من بينها: روسيكادي (سكيكدة) وكريطا (قسنطينة) وكويكول (جميلة) وثاموقادي (تيمقاد).

حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية تتبع أهم المصادر والشواهد التي أشارت إلى كارثة فيضانات القرن الثالث بمناطق مختلفة من نوميديا، ودراستها واستخلاص أهم النتائج المتعلقة بهذه الكارثة الطبيعية وتأثيراتها وسبل مواجهة الإنسان القديم لنتائجها.

ومن هنا تبرز إشكالية كيف تناولت المصادر التاريخية والأثرية الفيضانات التي ضربت مقاطعة نوميديا الرومانية خلال القرن الثالث ميلادي؟ وكيف وثقتها؟

اتبعنا منهجية تاريخية وصفية في دراسة الشواهد الأثرية والمصادر التاريخية وكذا المنهج المقارن والمنهج التحليلي.

الكلمات المفتاحية: الإنسان؛ الفيضانات؛ نوميديا؛ النقيشات؛ الرومانية.

Abstract:

During the third century AD, several areas of the Roman province of Numidia witnessed climatic fluctuations, which had a profound impact on humans and nature, represented by floods that were indicated by numerous historical sources and studies and documented by physical archaeological evidence, most notably the Latin inscriptions that were found in several cities of the province. Among them: RUSICADE (Skikda), CIRTÀ (Constantine), CUICUL (Djamila), and THAMOGADI (Timgad).

Through this research paper, we tried to trace the most important sources and evidence that pointed to the catastrophic floods of the third century in various regions of Numidia, study them, and extract the most important results related to this natural disaster, its effects, and ways for ancient man to confront its consequences.

Hence the problem arises: How did historical and archaeological sources address the floods that struck the Roman province of Numidia during the third century AD?

Keywords: Human; floods; Numidia; inscriptions; Roman.

مقدمة:

شكل النظام الهيدروليكي أساس قيام وازدهار عدة مدن في شمال إفريقيا عموما ومقاطعة نوميديا الرومانية خصوصا، من بينها

مدن روسيكادي (سكيكدة) وكريطا (قسنطينة) وكويكول (جميلة) ولمازيس (لامبيز) وثاموقادي (تيمقاد)...، وإذا كانت المياه شرطا أساسيا لنشأة المدن فقد شكلت في بعض الأحيان سببا مباشرا في خرابها الكلي أو الجزئي، وهذا ما وثقته بعض الكتابات القديمة. وخاصة ما يتعلق بخطر الفيضانات والأمطار والسيول الفجائية الجارفة التي كان لها بالغ الأثر على الإنسان والبيئة التي يعيش فيها.

تعتبر الكتابات اللاتينية المنحوتة على الحجارة بمختلف أنواعها (النقيشات) من أبرز الشواهد المادية التي تقدم معلومات مهمة للدراسات الأثرية والتاريخية، فهي لا تقدم مجرد نصوص أدبية صماء، بل تضمن معلومات لا تقدر بثمن ولا نجدها في العناصر الأثرية الأخرى كالعملات النقدية أو الفخار، بل تكمل أحيانا وتثري ما تقدمه المصادر السالفة الذكر، فالنقيشات أهم مصدر مادي يعتمد عليه في فك بعض الغموض إما في معرفة الأباطرة، الحكام، والنخب الاجتماعية، أو في معرفة المدن الرومانية.

وقد تمت النقيشات إضافة إلى المصادر الأخرى، معطيات ومعلومات متعلقة بالمناخ وبالفيضانات التي اجتاحت عدة مدن من مقاطعة نوميديا الرومانية خلال القرن الثالث ميلادي وتعامل الإنسان القديم معها.

فالإشكالية تتمحور حول كيف تناولت المصادر التاريخية والأثرية الفيضانات التي ضربت مقاطعة نوميديا الرومانية خلال منتصف القرن الثالث ميلادي؟ وكيف وثقت تأثيراتها على الإنسان القديم والمحيط الذي كان يعيش فيه؟

وللإجابة على الإشكالية السابقة التي تشمل إطار جغرافي يمثل مقاطعة نوميديا والإطار الزمني: القرن الثالث ميلادي اتبعنا منهجية تاريخية وصفية في دراسة الشواهد الأثرية والمصادر التاريخية وكذا المنهج المقارن والمنهج التحليلي.

تناولنا في هذه الدراسة أهم المصادر وبعض النقيشات المتعلقة بعنصر الماء والفيضانات في نوميديا، سواء التي اكتشف بالمنطقة واختفت اليوم ووثقتها المصادر مثل *Corpus Inscriptionum Latinarum* (C.I.L., VII.22399) (مجمع الكتابات اللاتينية).

وكذا المتعلقة بالايغرافيا *Année Epigraphique* (A.E., 1888-1901) (حولية الكتابات القديمة) أو النقيشات التي بقيت صامدة تقاوم عوامل الزمن في المواقع الأثرية والمتاحف وحاولنا إعادة قراءتها واستنباط ما بين سطورها رغم الصعوبات التي تواجه التعامل مع النقوش القديمة.

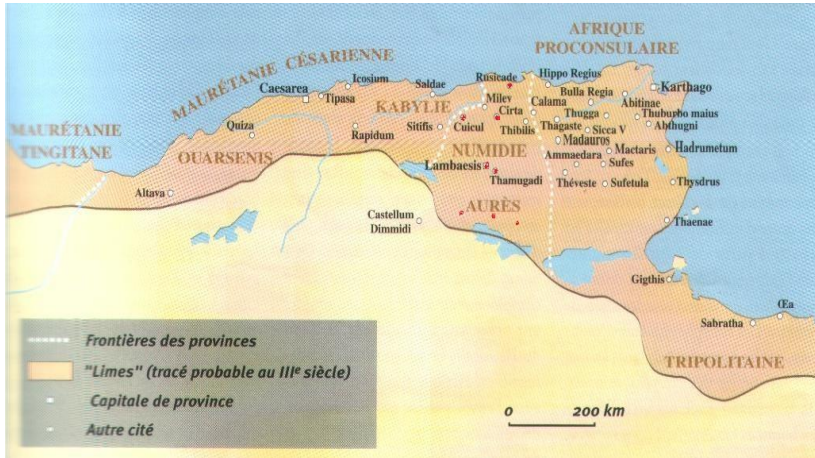
ورتبنا المدن التي شملتها الفيضانات وفق منهجية من شمال إلى جنوب المقاطعة كما يلي:

-روسيكادي وكيرطا، وكويكول، لاميذ، تيمقاد مدن الاوراس وجنوبه فسكيرة وتابيديوس.

-قمنا بتحديد مواقع المدن التي شملتها الفيضانات باللون الأحمر (ضمن الخريطة رقم 1).

خريطة 1: نوميديا والمقاطعات الرومانية في شمال إفريقيا خلال القرن الثالث ميلادي. عن / بتصرف:

(SINTES, C.; BLAS de ROBLES, 2003, Sites et monuments antiques de l'Algérie) □



-أولاً: فيضانات شمال مقاطعة نوميديا:

1 -مدينتي روسيكادي وكيرطا:

عرفت كل من مدينة روسيكادي (RUSICADE)، سكيكدة الحالية، وكيرطا (CIRTA)، قسنطينة الحالية، تساقط كميات كبيرة من الأمطار العاصفة خلال القرن الثالث الميلادي أدت الى فيضانات عارمة ، ونتيجة لهذه الأمطار العاصفية تضرر الطريق الرابط بين المدينتين وهذا مادت عليه النقيشات الأثرية (CIL,VIII,10302, 10298-10299).

2 -مدينة كويكول وضواحيها:

تعتبر مدينة كويكول (جميلة الحالية بولاية سطيف) غنية بالنقيشات الأثرية اللاتينية والتي تنوعت بين الدينية والإمبراطورية والشرفية والجنائزية، وأقيمت حولها عديد من الدراسات التي اعتمد عليها بعض الباحثين في دراسة "كويكول من الناحية الأثرية والاجتماعية"(خاشة السعيد، 2016).

وإضافة إلى تقديم هذه النقيشات معطيات حول الأسماء والكنى والتركيبة الاجتماعية والإدارية والعسكرية..، أشارت بعضها إلى الماء والمنشأة المائية و الترميمات وإصلاح الأضرار الناتجة عن الفيضانات. وتشير نقيشتين عثر عليهما في المدينة إلى تضرر الطريق الرئيسي المنطلق من كويكول أدرجنا إحداها في الصورة رقم 1. صورة 1: إحدى النقيشات التي تتحدث عن ترميم الطرق والقنوات المتضررة من الفيضانات بكويكول (تريعة، 2017).



وكانت النقيشتين منطلق للعديد من الدراسات الحديثة المتعلقة بالكوارث الطبيعية التي شهدتها المنطقة خلال الفترة الرومانية (Jean-Louis Ballais, 2009:93)

تضمنت النصوص اللاتينية القديمة المنقوشة على مجموعة من العلامات الميلية (أحجار غالبا تكون أسطوانية الشكل تكتب عليها المسافة بين المدن بالميل الروماني) بكويكول والمؤرخة بالقرن الثالث ميلادي، أعمال للإصلاح والوقاية من الأخطار من خلال القيام بتشديد

جدران صغيرة جديدة بعد اجتياح مياه السيول لشبكة الطرق، وكان الهدف منها دون شك دعم الطرق والرفع من مستوياتها والتخفيف من الأضرار الناتجة عن الفيضانات وضمان انتظام النقل والتنقل من خلالها (Laporte, Jean-Pierre, 2017).

مما يبرز جهود الإنسان القديم في مواجهة وإصلاح الأضرار والقيام بأعمال وقائية.

من جهة أخرى تعدد الإشارات النصية والإيبغرافية الدالة على الفيضانات، إلى تعدد حالات وقوعها وشدة وطأتها وتأثيرها الكبير على الإنسان، فضلا عن منشآته ومراكز استقراره القريبة من الأودية وباقي المجالات المهددة بخطر الفيضان (آيت أومغار سمير، 2019: 66) وتتحدث الوثائق في هذا الصدد، عن أشغال إصلاح الطرق والجسور وبقية المنشآت العمومية المتضررة أو المدمرة كلياً بسبب الفيضانات، ويتميز القرن الثالث الميلادي في هذا الصدد بعدد كبير من الإشارات المتصلة بهذه الكارثة الطبيعية (Jean-Louis Ballais, 2009, p: 93) نجد في مدينة كويكول نقيشة إمبراطورية تشير صراحة إلى الفيضانات التي دمرت الطرق، ليتم التكفل بأشغال ترميمها (BALLU (A), 1979:396).

ولخصنا مضمون النقيشة بعد إعادة دراستها في الجدول رقم 1.

الجدول 1 (النقيشة 1: ترميم الطرق المهدمة بفعل السيول في مدينة كويكول الرومانية (إعداد المؤلف).

ترجمة النقيشة	تكملة النص	النص الأصلي للنقيشة
إلى الإمبراطور ماركوس يوليوس فليبوس الذي لا يقهر، التي الأغسطس، الكامن الأعظم، ذو السلطة الشعبية، أب الوطن الأم، مدينة كويكول أهدتها لعظمته وقداسته ورممت الطرق التي هدمت بفعل السيول الجارفة.	IMP(ERATORI) CAES(ARI) M(ARCO) / IULIO PHILIPPO / INVICTO PIO AUG(USTO)/ PONTIFICI MAXIMO TRIB(UNICIAE) POT(ESTATE)/ P(ATERI) P(ATRIAE) RESPUB(LICA) / CUICULITANOR(UM) / DEVOTA NUMI/NIMAESTATIQ(UE)/ EIUS VIAS TOR/RENTIBUS EX/HAUSTAS RES/TITUIT///	IMP CAES M IULIO PHILIPPO INVICTO PIO AUG PONTIFICI MAXIMI TRIB POT P P RESPUB CUICULITANOR DEVOTA NUMINIMAESTATIQ EIUS VIAS TORRENTIBUS EXHAUSTAS RESTITUIT///
التأريخ	244م - 249م	
المرجع :	BALLU (A), P326	

تطُرقت النقيشة المدرجة في (الجدول1) إلى ترميم الطرق التي دمرت بسبب السيول، وكلم الطرق تشير إلى أكثر من طريق، مما يدل على كثرة السيول وخلل في منشأة تصريف المياه، وأشار باحثون إلى النصوص اللاتينية المنقوشة على مجموعة من العلامات الملية والمؤرخة بالقرن الثالث الميلادي، تضمنت إشارات إلى القيام بتشبيد جدران قرب كويكول صغيرة جديدة بعد اجتياح السيول للشبكة الطرقية، لعل الهدف منها دعم هذه الأخيرة والتخفيف من أضرار الفيضانات كما اشرنا سابقا.

وأشارت دراسات اخرى الى تذب المناخ بشمال افريقيا خلال الفترة الرومانية (أيت أومغار سمير، 2017: 49- 81).

2 - 1 - ترميم القنوات المائية المتضررة:

تضمنت نصوص العديد من النقيشات ترميم القنوات المائية، بعضها تم توثيقه (A.E 1911, 00104)، وقمنا بدراسة مضمون إحدى هذه النقيشات في الجدول رقم 2.

جدول 2 (نقشة 2 ترميم قنوات السيول في مدينة كويكول الرومانية (إعداد المؤلف).

ترجمة النقشة	تكملة النص	النص الأصلي للنقشة
حفيد القورديين، الأغاطسة، ساداتنا، مدينة جميلة قدمت النقشة لعظمتهم بحسن نية رمت قنوات مياه السيول.	Nepot(i) Gordiano/rum Augg(ustorum) nn(ostorum) duorum / res publica Cuic[u]l[i]tanor(um) / d(evota) n(umini) m(aiestatique) e(ius) vias tor/r[e]ntibus exh[au]s/tas restituit / VIII	NEPOT GORDIANORUM AUGG NN DUORUM RES PUBLICA CUIC TANOR D N M E VIAS TORR NTIBUS EXH STAS RESTITUIT VIII
التأريخ	أفريل 238 - فيفري 244	
المراجع	(السعيد خاشعة، ص94)	CIL. VIII, 22399

تضمن النقشة المدرجة في (الجدول 2) معطيات حول ترميم قنوات مياه، وما يلفت الانتباه هو إشارتها إلى مصدر المياه من خلال عبارة "مياه السيول"، مما يؤكد على وجود نظام هيدروليكي، واستخدام سكان كويكول لمياه السيول، ليضاف إلى مصادر المياه الأخرى سواء الجوفية أو السطحية، وهذا ما تشير له أيضا النقشة المدرجة في (الجدول 2).

2 - ب - مسؤول الحياة الثقافية والاجتماعية:

من جهة أخرى ذكرت نقيشات منصب مسؤول الحياة الثقافية والاجتماعية(خاشة السعيد، 2016:302)، ومن مهامهم مراقبة أعمال صيانة الطرقات والبناءات وترميم المباني العمومية وتوزيع المياه (J-M. Lassère, 2007:573-574)

2 - ج -تذبذب المناخ بين الجفاف والفيضانات:

تطرقت بعض النقيشات إلى خطر الجفاف والتأثير الاقتصادية المترتبة عنه ونقص التزود بالمياه (BALLU (A)1979).

وأشارت إحدى النقيشات التي درسها الباحث BALLU ، وهي نقيشة شرفية إلى قحط أصاب كويكول وتسبب في نقص وارتفاع أسعار القمح، ليقوم أحد الأشراف بالتكريم وتخفيض سعره. وأشار لهذه النقيشة أيضا بعض الباحثين الجزائريين(خاشة السعيد، 2016، ص 172 -173).

وتحدثت بعض المصادر التاريخية عن ظاهرة تذبذب المناخ، حيث أشار أرنوبيوس (Arnobius) في رسالة له تعود إلى حوالي سنة 298 ميلادي إلى معاناة الجيتول والموريين من الجفاف في موريطانيا الطنجية مقابل حصاد وفير ومناخ جيد ممطر في مقاطعتي موريطانيا القصرية ونوميديا، واعتبر القحط وتذبذب المناخ علامة على غضب الرب بسب استمرار الطقوس الوثنية (Arnobe, Translated by Arch d. 1871).

-ثانيا: فيضانات مدن وسط مقاطعة نوميديا:

1 -مدينة لامبيز:

حسب نقيشة تضمنت كتابة لاتينية، مؤرخة بالنصف الثاني من القرن الثالث ميلادي، تضر القناة المحمولة الناقلة للمياه بمدينة لامبايزيس (Lambaesis)، تازولت حاليا، خلال القرن الثالث ميلادي

بسبب الفيضانات التي عمت المنطقة، وقد أشار إلى مضمون هذه النقيشة بعض الباحثين (Bel faïda, Abdelaziz, 2009:131).

2 -الأوراس والنمامشة:

كشفت الدراسات المورفولوجية بالأوراس وأوراس النمامشة والشرق الجزائري، عن وجود رطوبة خلال المرحلة الرومانية تفوق معدل الرطوبة الحالية، حيث عرفت المنطقة مرحلة أقل جفافا "مناخا مثاليا" على وجه التقريب، ما بين 300 ق.م و300م. (J. B. Chabin etJ. P. Laporte, 2016:115) مما يفسر ظاهرة الفيضانات التي عرفت المنطقة خلال القرن الثالث ميلادي.

ثالثا: فيضانات جنوب مقاطعة نوميديا:

1 - فسكيرة وجنوب نوميديا:

في منطقة الأوراس (وبالضبط الجهة الجنوبية) التي خصها أحد المرفولوجيين الفرنسيين بدراسة قطاعية، هي تلك التي تخص موقع فسكيرة VESCERA. والذي اختفى بالكامل تحت طمي واد بسكرة، في ضفته اليسرى لدرجة أن أصبح موقع المدينة مجهولا (Jean-Louis Ballais, 1981:449)، ما عدا بعض الآثار المكتشفة أثناء مشروع انجاز الجامعة في ثمانينات القرن الماضي.

2 - مدينة تابديوس:

ومن جهة أخرى تقع أغلب آثار مدينة تابديوس الرومانية (تهودة) الحالية تحت التراب وبعض الأسس على عمق يتجاوز عشرة أمتار مما يجعلنا نتساءل إن كانت من بين المناطق التي شهدت تأثيرات فيضانات القرن الثالث ميلادي.

أشار هذا المرفولوجي السالف الذكر إلى أن المرحلة الممتدة من 200 ميلادي إلى 250 ميلادي، أي القرن الثالث تميزت بالتراكم الشديد للطمى في قعور الأودية بسرعة متوسطة قدرها 7.02 ملم في السنة، أي أسرع ثلاث مرات من السرعة التي ميزت الهولوسان القديم. ورغم المخاطر الناتجة عن السيول والفيضانات فقد شكل تقديس الماء أحد الاهتمامات الدينية للشعوب الرومانية قبل المسيحية وحتى بعدها وإن كان ذلك بصيغ مختلفة، وهذا ما أكدته الشواهد الأثرية في عدة مناطق (السعيد تريعة، 2018).

خاتمة:

من خلال دراسة المصادر الأثرية والتاريخية وإعادة قراءة الشواهد المادية المتاحة يمكن استنتاج ما يلي:

عرفت عدة مدن في مقاطعة نوميديا في الفترة الرومانية تذبذب في المناخ تراوح بين الجفاف (في القرن الثاني ميلادي) والفيضانات والسيول الجارفة والتي أشارت لها بكثرة نقيشات القرن الثالث ميلادي.

أدت فيضانات القرن الثالث ميلادي إلى تضرر عدد من الطرق في مقاطعة نوميديا خاصة المنطلقة من مدينة كويكول تضررت كثيرا، نتيجة الأمطار العاصفية والفيضانات خلال القرن الثالث الميلادي، مما يدل وجود خلل في نظام تصريف المياه، واكمه عمليات مراجعة وترميم للنظام الهيدروليكي وللطرق المتضررة.

تنوعت مصادر المياه المستخدمة في نوميديا بين مياه الينابيع العذبة ومياه الأمطار، وتمت الإشارة إلى قنوات خاصة بالسيول مما يدل على استغلالها، ومحاولة التحكم فيها لتفادي خطر الفيضانات.

وجود هياكل تشرف على مراقبة توزيع المياه بمدن مقاطعة نوميديا وترميم المنشآت و الطرق المتضررة من الفيضانات. واجه الإنسان القديم المستقر بمقاطعة نوميديا الرومانية في عدة مدن ومناطق ريفية أضرارا لحقت بالمباني والقنوات المائية والطرق، وقام بإجراءات وقائية لرفع مستوى الطرق وتدعيمها بجدران وهذا للوقاية من أي تقلبات جوية مستقبلية.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1 -آيت أومغار سمير، (2017)، "مناخ شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية: مقاربات جديدة"، مجلة "Hespéris Tamuda LII"، المغرب، ص: 49- 81.
- 2 -آيت أومغار سمير، (2019)، "المدن وسبل مكافحة خطر الفيضانات في شمال إفريقيا خلال المرحلة الرومانية"، مجلة "Hespéris-Tamuda LIV"، المغرب، ص: 65- 95.
- 3 -تريعة السعيد، (2018)، "الإنسان والماء في أطراف الصحراء (ما بين القرنين 2م -6م) بين النصوص الأدبية والشواهد الأثرية"، مجلة التعليمية، جامعة سيدي بلعباس، العدد 8، المجلد 3، ص: 79- 93.
- 4 -خاشة السعيد، (2016)، كويكول دراسة اجتماعية وأثرية، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة، (غير منشورة)، معهد الآثار جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2 (الجزائر).

5-A.E, *Année Epigraphique*, 1901.

6-C.I.L, *Corpus Inscriptionum Latinarum*. VII.

7-Arnobe, *The seven Books of Arnobius Adversus Gentes*. Translated by: Arch d. Hamilton Bryce, LL.D. D.S.L. and Hugh Campbell, M.A.. Edinburgh: T. and T. Clark, 1871

8-BALLU (A), (1979), "l'archéologie algérienne de 1895 à 1915", in *collection du centre d'études romaines et gallo-romaine*, nouvelles série n° 16, diffusion Piccard, Lyon.

9-Bel faïda, Abdelaziz. (2009), "Les aqueducs de l'Afrique romaine le dossier épigraphique", In *Contrôle et distribution de l'eau dans le Maghreb antique et médiéval*. Collection de l'École Française de Rome 426, 123-41. Rome: l'École Française de Rome,

-
- 10-J-M. Lassère, (2007), *Manuel d'épigraphie romaine*, ed picard, Paris, T2.
- 11-Jean-Louis Ballais, (1981), "**Recherches géomorphologiques dans les Aurès (Algérie)**", Thèse de doctorat, Université de Paris I.
- 12-Jean-Louis Ballais, (2009), "*Les risques naturels dans les Aurès pendant la période antique Aouras*", 5 pp: 89-108.
- 13-Jean Baptiste Chabin et Jean Pierre Laporte, (2016), "*Aridification et désertification des Nememcha, de l'Antiquité à nos jours: changements climatiques et pression anthropique sur la Nature,*" in **Peuplement, Territoire et culture matérielle dans l'espace méditerranéen**. Actes du 5ème colloque international (Kairouan, 15-16 et 17 avril 2014), (Tunis: Université de Kairouan, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Kairouan,
- 14-Laporte, Jean-Pierre, (2017), "*Peuplement et catastrophes naturelles dans l'Afrique du Nord ancienne.*" In **Le peuplement du Maghreb antique et médiéval. Actes du troisième colloque international**, Sousse, 5, 6 et 7 mai 2016, organisé par le Laboratoire de Recherche "Occupation du sol, peuplement et modes de vie dans le Maghreb antique et medieval," 117-49. Sousse: Université de Sousse, FLSH, 2017.

